عززت من واحدية النضال الوطني

14أكتوبر .. يوم اكتمال المشهد الثوري اليمني

ثوار دافعوا عن النظام الجمهوري .. وأمة تطلعت نحو الوحدة

ثورة على الانقسام.. ومناضلون كانوا وطناً واحداً

« لم يكن قيام ثورة الرابع عشرمن أكتوبر مصادفة، ولا يمكن القول إنها جاءت تقليداً أو تأثراً بثورة السادس والعشرين من سبتمبر، وأنها امتداد لها لتشكل بانبلاجها اكتمال المشهد الثوري اليمني ضد الواقع الذي عاشته اليمن خلال زمن الحكم الإمامي من تخلف واقتسام للوطن بين قسم شمالي وآخر جنوبي.

وقد أعاد هذا الاكتمال الناجح والناضج للثورة اليمنية بصيغته المترابطة من حيث خارطة التخطيط ورجال التنفيذ وإدارة الفعل الثوري، أعاد لمن كاد ينسى في العالمين أن الأرض اليمنية واحدة والشعب اليمني واحد.

وبشروع أبطال التغيير إلى واقع الاستقلال بالقرار الوطني وتمكين فئات من حقها في الحياة الكريمة في صياغة منهجية حياة الواقع اليمني الجديد بعد الثورة برزت للعالم صياغات وطنية زادت من التأكيد على أن النبض الوحدوي ظل دائماً في نفوس اليمنيين، كما أكدت فشل محاولات بقايا الماضي في زعزعة الروح الثورية والوحدوية والإبقاء على حالة الانقسام في دولتين ضعيفتين يكون من السهل السيطرة عليهما والتحكم فيهما والتأثير على قرارهما الوطني، فكان أبرز دليلين على ذلك :

كتب/ وديع العبسي

○الأول : ظل «اليمن» اسماً لدولتيّ ذلك الوقت في تأكيد على أن هذه المساحة الجغرافية واحدة وإنما صارت إلى الانقسام بفعل عوامل خارجية قادت إلى تحكم مطامع أجنبية على جزء منه مع تساهل بعض أبناء هذه الأرض في الجزء الآخر منه.

○ الثاني : إن تحقيق الوحدة كان واحداً من أهداف الثورتين سبتمبر وأكتوبر.

نشيد الحرية

□ انطلقت الثورة الأم في السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢م، فأنشدت جموع اليمنيين نشيد الحرية، وشعر الاستعمار بخطر قيام هذه الجمهورية الوليدة على وجوده وسيطرته على الجنوب، فعمد الى التآمر عليها وملاحقة ومضايقة وسجن أنصارها في عدن، إنما الخيبة كانت مصير أمنياتها، إذ أذّن مؤذن الثورة، ومن ردفان انطلقت رصاصة الثورة الأكتوبرية ملبية نداء النفوس المتطلعة الى اكتمال مشهد الحرية شمالاً وجنوباً على يد الشهيد البطل راجح لبوزة، مشعل فتيل الثورة من جبال ردفان، وأحد المناضلين الذين شاركوا في الدفاع عن ثورة ٢٦ سبتمبر ومطاردة أذيال الملكية.

يقول الدكتور هشام محسن السقاف : لقد صنعت ثورة السادس والعشرين من سبتمبر بنضوج مقومات انتصارها الموضوعية والذاتية في شمال الوطن اليمني، جسراً يعبره الثوار لتحرير عدن وبقية أجزاء الجنوب اليمني المحتل من قبضة الاستعمار البريطاني بتوفير الأرضية العملية لتحركات الثوار والعمق الاستراتيجي الذي يلجأون إليه ويتحركون من خلاله، والدعم العسكري واللوجستي والدعائي اللازم لتغطية فضاء المعركة مع الأعداء.

في ذات السياق كتب الأستاذ عمر جاوي ما صوّر به كيف جرى تعامل اليمنيين في جنوب الوطن مع ثورة سبتمبر، وكيف مثلث لهم القاعدة الثورية لتحرير جنوب الوطن وإعادة وحدته، وما كان من الاستعمار، يقول الجاوي : غيرت ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢م المجيدة في شمال الوطن اتجاه الأحداث في جنوب اليمن، وبتأسيس أول جمهورية في الجزيرة العربية ارتفع المد الثوري إلى مستوى عال، فلقد انتفض الناس انتفاضات عارمة في جنوب الوطن أسوة بشماله في دعم الجمهورية الفتية دون اعتبارات لظروف الإرهاب والدم الذي لم يجف بعد، فالطبقة العاملة في عدن كونت فصائل عديدة من المتطوعين الذين أرسلوا إلى الجمهورية بعشرات الآلاف من العمال والفلاحين والمثقفين والطلبة، واتجهت النشرات والكتيبات والمنشورات التي يصدرها مؤتمر عدن للنقابات لنشر أخبار الأحداث في الشمال، كما وزع في عدن بيان باسم المؤتمر العمالي يؤيد النظام الجمهوري ويطالب العمال وجماهير الشعب بالتطوع لحماية جمهوريتهم، ولقد جمد الاستعمار الإنجليزي مؤقتاً كل القوانين، بما في ذلك قانون منع التبرعات، لأن المد الجماهيري قد وصل في عدن مرحلة كبيرة، وكانت الجمهورية بعد الأحداث الدموية بمثابة عودة الأمل في النضال الجاد من أجل تصفية الاستعمار وعملائه، فقد رأى العمال في جمهورية الشمال جمهورية للشمال والجنوب، وشكلت بالنسبة لهم القاعدة الثورية من أجل تحرير جنوب البلاد وإعادة توحيد اليمن، لقد انتقل معظم قادة مؤتمر عدن للنقابات وزعماء المنظمات الاجتماعية والنقابيون إلى شمال الوطن للتعبير عن تأييدهم ومساندتهم للنظام الجمهوري الجديد وأكثر من ذلك تحول بعضهم إلى قادة عسكريين للدفاع عن الجمهورية.

ثورة واحدة

□ تنتهي القراءات لمسار الثورة اليمنية وإعادة تحقيق الوحدة دائماً إلى أن العودة بالوطن إلى اللحمة ليشكل جسداً واحداً، كما كان منذ الأزل، بدأت منذ بدأ هذا الجسد بالانتفاض ضد الأجسام الغريبة التي أخذت تنخر فيه، لذا مثلت الثورة اليمنية ثورة واحدة انطلقت في السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢م في المحافظات الشمالية، ثم في الرابع عشر من أكتوبر ١٩٦٣م في المحافظات الجنوبية، واكتلمت بجلاء الاستعمار في الثلاثين من نوفمبر ١٩٦٧م.

وتشهد الوقائع والأحداث التاريخية على وحدة أو واحدية الثورة اليمنية، وكما يذكر فيصل الصوفي «عدن كانت مأوى لطلائع حركة الأحرار، وكانت صنعاء وتعز وجبلة مساحات مفتوحة لحركة التحرر الوطني لكي تنظم صفوفها من أجل تحرير الجنوب من الاستعمار البريطاني، وفي عدن أسست الجمعية اليمنية الكبرى كحركة معارضة للإمام في الشمال، وفي قلب صنعاء وجد مكتب جبهة تحرير الجنوب، وأصدر الزبيري والنعمان صحيفة في عدن، وأصدر باذيب (الطليعة) من تعز»، فيما كان للمناضل قحطان الشعبي أن أسس الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني المحتل في صنعاء في أغسطس ١٩٦٣م، «وقد ورد في ميثاقها القومي الأول (أن الجنوب والشمال يكونان اليمن الواحد)».

يقول الدكتور عبدالوهاب الروحاني : «شكلت ثورة ٢٦ سبتمبر قاعدة إسناد للحركة الوطنية في الجنوب أحدثت متغيرات سمحت بتواصل حركة النضال الوطني وترابط أهدافها بشكل مباشر، فأصبحت ساحة الشمال ساحة لقاءات القوى الوطنية للدفاع عن ثورة سبتمبر، وخلفية لانطلاق النضال الوطني باتجاه الجنوب، وهي عملية تدخل في اتجاه الدفاع عن النظام الجمهوري، كونها تتصدى للعدوان البريطاني وحكام الكيانات المحتمين به، الذين ناصبوا الثورة ونظامها الجمهورية في شمال اليمن العداء».

وحسب عبدالوهاب محمد الروحاني أدرك قادة الثورة في صنعاء «أن نجاح معارك الحفاظ على النظام الجمهوري في اليمن مرتبط في جزء كبير منه بنجاح المقاومة ضد المستعمر في الجنوب».

على قلب رَجُل واحد

□ ليس الرصد التحليلي وحده من يقود إلى ما يعكس وحدة الثورة اليمنية، باعتبارها البداية الأولى لوحدة الوطن السياسية، بل إن ذكريات المناضلين تبين كيف أن اليمنيين جميعاً كانوا على قلب رَجُل واحد في الدفاع عن ثورة سبتمبر الأمّ والانطلاق إلى الثورة على الاستعمار على طريق الوحدة، وفي الرصد التالي نماذج :

من يافع يقول الشيخ المناضل أحمد صالح علي الشرفي : حقيقة أقول إن نضال شعبنا ضد الحكم الإمامي المتخلف والاستعمار البريطاني، أكد إرادة الشعب اليمني واصطفافه حتى تحقق حلمه وهدفه العظيم بقيام ثورتي ٢٦ سبتمبر و١٤ أكتوبر ونيل الاستقلال الوطني، ونحن والحمد لله أسهمنا في الدفاع عن ثورة ٢٦ سبتمبر و١٤ أكتوبر، وليس لدينا أية تفرقة بين الثورتين وبين المناضلين، فالهدف واحد، وكم أشعر بالاعتزاز وأنا أتذكر عند سماعي الإذاعة في سبتمبر ١٩٦٢م والمذيع كان يقول : هنا ثورة الجمهورية العربية، حيث كنت حينها في عدن وحدث في اليوم الذي قبله مظاهرات جماهيرية كبرى وعارمة، واقتحم المتظاهرون مقر المجلس التشريعي بكريتر، وبعدها اجتمعت قيادات النقابات العمالية الست لتتخذ قراراً وطنياً شجاعاً بإرسال مجاميع من المناضلين إلى شمال اليمن، وأفتخر أنني كنت في الدفعة الأولى ومعي زميلي حسين أحمد صالح، وأول معركة اشتركت فيها كانت في عصيفرة، وتنقلنا في مواقع وجبهات القتال من سوق العميل إلى جبل ثلا ودور غوبر وبني مطر وخشم البكرة إلى بني حشيش والسود والهجرين التي شهدت معركة ضارية مع الملكيين، استشهد فيها (٤٢) مناضلاً بطلاً، ومن رفاقي أحمد ناصر المرفدي وحسين أحمد وقاسم اليافعي وقاسم حسين البصيري وقاسم علي قائد والخبجي من ردفان، وكان مركزنا الرئيسي جبل رازح الذي أقمنا فيه عامين، ومن ثم سافرت إلى القاهرة للتدريب، وقمنا بالتطبيق مع جيش التحرير في جبال الأوراس بجمهورية الجزائر البطلة، وعدنا إلى صنعاء وبعدها من صنعاء اتجهنا إلى جبال ردفان لمواصلة النضال والكفاح المسلح في عدن ضد الاحتلال الإنجليزي، وقد اشتركت في العديد من الأعمال القتالية والفدائية في شوارع عدن حتى نيل الاستقلال في ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧م.

○ مناضل آخر من لحج هو المناضل صالح سريع علي، يقول : إذا لم تخني الذاكرة فقد تركت الدراسة وكنت حينها في سنة أولى متوسط بالضالع، فتوجهت في يناير ١٩٦٣م وزملائي إلى مدينة قعطبة، حيث استقبلنا عدد من الضباط في معسكر المدينة، وبعد اطلاعهم على هدفنا المتمثل في طلب الالتحاق بجيش الدفاع عن الثورة السبتمبرية الأمّ وفينا الروح الوطنية، لكنهم لم يوافقوا على طلبنا من منطلق أننا في سن مبكرة، فأحالونا إلى مدرسة «العرضي» بقعطبة لمواصلة الدراسة، فانضممنا إلى طلبة المدرسة، لكن على غير رغبة في الدراسة، إذ كنا مع كل يوم يمر نزداد حماساً للمشاركة في القتال ضد أعداء الثورة، لذا لم تمر سوى أسابيع قليلة حتى كررنا طلبنا الالتحاق بالمقاتلين في الخطوط الأمامية، وبعد إلحاح كبير استجابت القيادة لطلبنا وتم ترحيلنا إلى محافظة تعز، وفي تعز وتحديداً في الجحملية، تم تسليمنا إلى أحد الضباط في الجيش اليمني، وهو النقيب مهدي عوض أحمد، الذي استقبلنا بترحاب بالغ الود، لكن بعد كلمات الترحيب فوجئنا به يقول لنا : أنتم في سن الدراسة، ولا بد من إلحاقكم بالدراسة لمواصلة تعليمكم، وأمام إصرارنا على حمل السلاح تم التنسيق بين القيادات العسكرية الذين قاموا بتسليحنا برشاشات خفيفة ونقلنا إلى صنعاء ومنها إلى عبس، حيث كانت تدور معارك ضارية بين الجيش الوطني وفلول الملكية المندحرة، وهناك ترتبت أوضاعنا القتالية وأخذنا دورنا في الكفاح دفاعاً عن ثورة سبتمبر الخالدة واستمررنا حسب البرنامج لمدة شهرين، ثم توافدت جموع من المتطوعين إلى الموقع، فحلت محلنا، وكنت أنا ضمن مجاميع أعطيت لهم إجازة وتم ترحيلهم ونقلهم إلى العاصمة صنعاء، ومن صنعاء إلى تعز للتدريب، وعند وصولنا من عبس استقبلنا العقيد فتحي وهنأنا بسلامة العودة، ثم قدم لنا بعض المال كمصاريف ورتّب لنا مواصلات تنقلنا إلى تعز، حيث استقبلنا – أيضاً – في معسكر صالة بتعز، وهناك مكثنا فترة طويلة نسبياً قضيناها في تلقي تدريبات رياضية وعسكرية تمثلت في تدريبنا على استخدام الرشاشات المتوسطة وعلى استخدام عبوات «تي إن تي» ومدفع البلانسيد، وبعد الانتهاء من التدريبات التي تلقيناها في تعز قرر عودتنا إلى ردفان، ولا أذكر الشهر الذي عدنا فيه إلى ردفان، لكنني أذكر أننا عدنا بعد استشهاد المناضل الكبير الشيخ راجح بن غالب لبوزة، الذي شكل استشهاده انطلاقة ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣م وانطلقت أولى شرارتها من جبال ردفان الشماء، وكانت عودتنا ضمن فرقة مكونة من (٢٥) مقاتلاً وذلك في منتصف عام ١٩٦٤م تقريباً، فوصلت فرقتنا بقيادة الأخ محسن حسن نصر، ردفان، فتوزع كل منا إلى قريته، كانت المنطقة هادئة تماماً في ذلك الوقت، وعرفنا من زملائنا في سلسلة جبال ردفان بكاملها أنها لم تشهد أي أعمال عسكرية منذ استشهاد لبوزة عشية ١٤ أكتوبر، وأن مشاورات تجري بين الثوار لوضع خطط كفاحية تضمن استمرارية الثورة حتى النصر المنتظر.

الإمدادات

□ وواصل المناضل صالح سريع حديثه في نفس السياق، قائلاً : وبعد فترة من وصولنا اتجهت مجموعة من الثوار على رأسها المناضل بالليل راجح لبوزة إلى تعز بهدف التنسيق مع القيادة هناك والحصول على إمدادات من الأسلحة والذخائر والمؤن، باعتبار ذلك ضرورة لا بد منها لبدء عمليات الكفاح المسلح المنظم وتأمين استمراريته، وقد عادت القيادة وهي تحمل دلائل استجابة كاملة لمتطلبات الثورة من إمدادات، وكانت أول خطوة اتخذتها القيادة الميدانية في ردفان هي الالتقاء بالمشائخ والشخصيات الاجتماعية الفاعلة والتوقيع على صلح شامل تنتهي بموجبه إلى الأبد كافة المشاكل والنزاعات بين القبائل، وتوجيه كل القوى والطاقات لمحاربة الاستعمار وأعوانه، وهو ما حدث بإنجاز الصلح وحشد كل أبناء المنطقة في خندق الثورة، وفي اجتماع هو الأول في المنطقة تم إعلان أسماء القيادات للعمليات القتالية ضد الاحتلال من الإخوة : بالليل بن راجح لبوزة، وسيف مقبل عبدالله، وهما اللذان قاما بإعداد أول وأكبر عملية هجوم فدائي ضد مواقع تمركز قوات العدو البريطاني المحتل، وهو أول هجوم بعد استشهاد لبوزة شهده ردفان، حيث قام الثوار ذات ليلة من شهر ديسمبر ١٩٦٤م بمهاجمة قوات الاحتلال المتمركزة حينها في نقيل الربوة، فشبت معركة ضارية استخدم فيها الثوار كافة الأسلحة، فيما استخدم الإنجليز المدافع والدبابات والطائرات، وقد استمرت المعركة أكثر من (٨) ساعات تكبد خلالها العدو خسائر فادحة لم تكن في حسبانه في الأرواح والمعدات، وسقط جراءها قاسم صائل شهيداً وآخرون استشهدوا معه، وجرح عدد من الثوار في تلك المعركة البطولية، ولقد كانت تلك المعركة ضد الإنجليز أكبر معركة فعلاً بعد انطلاق شرارة الثورة وسقط شهيدها الأول لبوزة.

التلاحم

□ وبجلاء المستعمر البريطاني وعودة القرار الوطني لأبناء اليمن كان من الطبيعي أن يبدأ التفكير في الوحدة كواقع فعلي باعتبارها ثورة أخرى على واقع خلّفته الإمامة والاستعمار، وهو واقع التقسيم، فكان التحرك باتجاه تحقيق هذا الهدف مبكراً، فقد شكل «الاستقلال الوطني لبنة من لبنات البناء لإعادة تحقيق الوحدة اليمنية وإعادة الجسم اليمني الواحد إلى التلاحم في ظل ثورة نهضوية وتنموية»، حسب البرلماني الدكتور عبدالباري دغيش..